

## الفقيه احمد العثماني والثقافة الأمازيغية<sup>1</sup>

د. سعد الدين العثماني

الأستاذ احمد (بتسكين جميع الحروف) بن عبد الله العثماني من رجال العلم والثقافة والوطنية في المغرب، وفي سوس على وجه الخصوص، مخضرم عاش في مرحلتي الحماية والاستقلال. وكانت له إسهامات متنوعة في العلوم الشرعية والفتوى، وفي تاريخ منطقة سوس والثقافة الأمازيغية، وغيرها. وكان في كل ذلك ينطلق من التشبع بالقيم الإسلامية والأصالة المغربية والثوابت الوطنية.

وقد غلب عليه وصف الفقه مقابل غلبة وصف الشعر على شقيقه الأكبر محمد،

فاشتهر هو بالعثماني الفقيه مقابل اشتهار أخيه بالعثماني الشاعر أو الأديب<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> - عرض ألقى في ندوة تكريمية نظمها المجلس العلمي المحلي بعمالة انزكان أيت ملول يوم 24 نونبر 2012م.

<sup>2</sup> - ويسبب تشابه اسميهما تنسب أحيانا أعمال أحدهما أو إنجازاته للآخر دون تحقيق أو تثبت.

## أولا - نشأة أمازيغية

ولد الأستاذ العثماني ونشأ في بيئة أمازيغية قحة بقرية "أسكاور" في منطقة "أملن" بتافراوت في إقليم تزنيث. وهي بيئة تشكل فيها الأمازيغية بلهجة تاشلحيت لغة الأم ولغة الطفولة ولغة التخاطب اليومي، ولسانا حميميا للتواصل والتفاهم في المجتمع. لذلك اكتسب فيها فصاحة في النطق والكتابة.

وكان بوصفه أمازيغيا أبا عن جد، غيورا على الأمازيغية، وكانت الأمازيغية - على غرار أبناء الأسر الأمازيغية التي لم تغادر مناطقها الأصلية - لغة تخاطبه اليومي داخل الأسرة ومع الأصدقاء والمتعاملين إلا إذا كان هؤلاء لا يتكلمون بها. وكانت والدته السيدة عائشة معروفة بالصلاح والتدين، تدرس النساء في المنطقة معاني القرآن ومبادئ الدين بالأمازيغية، وذلك على الرغم من أنها لم تكن تعرف اللغة العربية ولم تكن تستطيع التخاطب بها. وكانت أهدتني شخصيا قبل وفاتها بستة أشهر نسخة من كتاب "الحوض" الذي هو ترجمة مختصر الشيخ خليل نظما إلى الأمازيغية، لمحمد بن علي الهوزالي المعروف بأكييل (ت 1162هـ)<sup>3</sup>. كما أهدتني كتيبات أخرى تتضمن أذكارا وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم بالأمازيغية الراجح أنها كتبت بخط والد الأستاذ العثماني العلامة عبد الله بن محمد العثماني<sup>4</sup>.

وقد استغرب أحد علماء سوس الذين يزورونه كثيرا كونه يخاطب أبناءه بالأمازيغية، فعاب عليه ذلك على أساس أن التخاطب يجب أن يكون باللغة العربية التي هي لغة القرآن،

---

<sup>3</sup> - طبع الجزء الأول منه بعد ذلك بسنوات، بعناية السيد المرحوم عبد الله بن محمد الرحماني في سنة 1977/1397

<sup>4</sup> - انظر ترجمته في: المعسول (158/17) ومعلمة المغرب، مادة العثماني (عبد الله).

فأجابه الفقيه العثماني قائلا: "أخاطبهم بتأشليحت حتى يتعلموا ما يخاطبون به جدتهم، أما العربية فسيتعلمونها في المدرسة وفي بالتخاطب مع أقرانهم".

### ثانيا - اهتمام واعتزاز مبكرين بالأمازيغية

من المفهوم إذن أن يكون الأستاذ العثماني دائم التشوق إلى الإسهام في النهوض بالأمازيغية وبثقافتها، وفي معالجة ظواهر التفريط فيها وتهميش أبنائها.

ومنذ 1970، السنة التي أتم فيها كتابة رسالته بدار الحديث الحسنية في موضوع: "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي"، وقف العثماني عند قضايا عدة مرتبطة بالأمازيغية، لم تهتم بها الحركة الثقافية الأمازيغية إلا بعد ذلك بفترة. ومن ذلك إشارات إلى ما يلي:

- أن الأمازيغية لغة ككل اللغات، إذ كان يعتبرها فعلا لغة ذات مؤهلات كبيرة ولم يستعمل قط في الحديث عنها لفظ "لهجة". فهي - كما يقول - "تتمتع بما تتمتع به لغات أخرى غيرها من القواعد، والآداب، والحكم، والأمثال، والفصاحة، والبلاغة، والإيجاز، والإطناب، والمساواة، والتورية، وما إلى ذلك". والأدب الأمازيغي "الشلحي" يستحق الدرس والاهتمام كسائر الآداب. غير أن غالبه شفوي غير مدون، "يتناقله الرواة بطريق الحفظ، فليس ما بقي الآن إلا نقطة من بحر قد ضاع الكثير منه وفقد مع مرور الزمان، وبسبب قلة الاعتناء بالتدوين". ولذلك فإن القليل منه هو المعروف والمتاح للباحثين.

- أن للأمازيغية في سوس استعمالا واسعا، ليس فقط في البيوت ولكن أيضا في الجامعات والمؤسسات: "كما أن التخاطب في المنزل وغيره، والدراسة والتربية في المدارس وغيرها، والخطب الحماسية وغيرها، بها تكون". وعندما تحدث عن أن خطبتي الجمعة والأعياد تكونان غالبا باللغة العربية، دافع عن الرأي الفقهي القائل بجواز إلقائهما بغير العربية قائلا: "وفي بعض الأحيان تلقى خطبنا الجمعة بالشلحة، ولا عيب في ذلك، فقد

أجاز الخطبة بغير العربية أبو حنيفة والإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحباها".  
واستدل في ذلك - نقلا عن الشيخ محمد الطالب - بكون "المقصود من الخطبة هو الوعظ  
والإنذار، لا التعبد باللفظ العربي". وحكى كون المهدي ابن تومرت سهل على الناس إدراك  
مقاصد الشريعة بما كتبه لهم من التأليف باللسان الأمازيغي، وكثيرا ما كانت الخطب تلقى في  
عهد من أعلى منابر الجوامع "بلغه القوم الشلحية". كما حكى أن الموحدون لا يقدمون  
للخطابة ولا للإمامة إلا من يحفظ قصيدته في التوحيد بالأمازيغية.

- أن التدوين والتأليف بالأمازيغية شمالا فنونا عدة: "واللغة الشلحية قد دونت بها  
جميع العلوم والفنون المتداولة في ذلك الصقع من فقه، وموارث، وحساب، وتوحيد، ونحو،  
ومواعظ، وأمداح وما إلى ذلك مما يسهل أن يحصل عليه الباحث متى أتى البيوت من أبوابها  
". وكان علماء سوس يهتمون بالتأليف بالأمازيغية، ويتنافسون في ذلك، "يتبارون إلى قصب  
السبق في التأليف باللغتين، ويتفاخرون بالاستطاعة على الإبلاغ والإفهام بالوسيلتين". وركز  
الأستاذ العثماني على ذلك التشبث الوجداني والاعتزاز العميق لأولئك العلماء بأمازيغيتهم  
وسعادتهم للخطابة والتأليف بها. يقول: "ولا تلاحظ السعادة آنذاك إلا لدى من تسليح  
بسلاحين، ولا يفترع ذروة المجد من نقص حظه في القدرة على التسليق في المصعدين، ولا  
تترف المعالي إلا لمن خاطبها وسابقها في الميدانين؛ وإن المطلع على الخزائن الخاصة بسوس،  
واستمع إلى الناس رجالا ونساء في الندوات وفي السهرات في المساجد والزوايا حيث يدرس  
الدين بهذه اللغة وحيث تلقى المواعظ بها، ليندهش مشدوها، ويبقى فوه منفغرا لما يرى  
ويسمع، لما يطلع عليه من الكتب النادرة المؤلفة من كل صنف باللسانين". وأعطى لذلك  
مثال البيتين المشهورين للعلامة أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله الجشتيمي، صاحب "العمل  
السوسي" يقول فيها:

الحمد لله الذي قد سخرنا

لي النظامين ولا مفتخرا

أنظم طوراً باللسان العربي

وتارة بالأعجمي الأعدب

ومن الأمثلة على ذلك أيضا أن العالم الأصولي الأستاذ محمد بن علي بن سعيد  
اليقوبي قال في "إجازته الكبرى": "في كل مؤلف منظوما ومثورا عربيا وعجميا، كل ذلك  
بشرطه المقرر عند أهل الأثر".

وفي تلك الإشارات دليل على أن إسهامات أولئك العلماء باللغة العربية لم تكن بتاتا  
على حساب لغتهم الأم الأمازيغية، وأن الأستاذ العثماني كان يعتبر الاهتمام بالأمازيغية لغة  
وثقافة واجبا بهدف ضمان تطورها.

- أن حروف تيفيناغ حروف أمازيغية كتبت بها اللغة الأمازيغية قديما، ولا يزال  
الطوارق يستعملونها إلى اليوم، يقول: "وللغة البربرية حروف خاصة بها سابقا. ولحروفها  
تلك أشكال تشبه كثيرا الأوضاع الكونية، والكائنات الطبيعية، ولم تكن الحروف الأصلية  
لتزيد لديهم على أربعة عشر حرفا يسمونها: "تيفيناغ"، ومعناها "الحروف المنزلة"، ولها  
حركات وضوابط تسمى "تيدباكين"، ومعناها "الدليل على العمل والتوسع"، ثم قال:  
"ولم يبق لهذا الخط أثر بهذا الشمال الإفريقي، غير أن المثلثين من قبائل لتونة بالصحراء،  
المشتهرين باسم "التوارك" لا يزالون يستعملون في مكاتباتهم خط "تيفيناغ" على قلة". ثم  
أورد نموذجا لحروف تيفيناغ ومقابلها في اللغة العربية.

لم يفصل الأستاذ العثماني في تلك القضايا التي تهم الثقافة الأمازيغية، لكنه عبر عن  
مواقف واضحة ودافع عنها في وقت كان الاهتمام بمثلها محدودا وجنينيا. وذلك بالنظر مثلا  
إلى أن أول جمعية تهتم خصيصا بالنهوض بالثقافة الأمازيغية هي جمعية البحث والتبادل  
الثقافي تأسست سنة 1967.

كما أننا نلاحظ أن الأستاذ العثماني كان يستعمل للحديث عن اللغة الأمازيغية لفظي "الشلحة" أو "البربرية" وهما اللفظان شائعي الاستعمال في تلك الفترة، ولم ينتشر استعمال لفظ "الأمازيغية" إلا بعد ذلك بسنوات.

لكن الأهم أن تلك المواقف كان لها تجل واضح في نشاط الأستاذ العثماني العلمي واهتماماته الفكرية.

### ثالثا - جهود عملية للنهوض بالأمازيغية

أول تجليات ذلك التثبث بالأمازيغية والاعتزاز بها هو أن الأستاذ العثماني مارس الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني والعلمي باللغة الأمازيغية كما باللغة العربية. وإذا كان يلقي دروسه التعليمية والجامعية باللغة العربية، سواء لما كان مدرسا بالمعهد الإسلامي بمدينة تارودانت، أو عندما أصبح أستاذا بكلية اللغة العربية بمراكش ثم بكلية الشريعة بآيت ملول، فإن الأصل في دروسه المسجدية والإذاعية أن تكون بالأمازيغية. وأحيانا، وعلى غرار العديد من علماء "المدارس العتيقة" السوسية ومدرسيها، يكون الشرح والتوضيح، كلا أو جزءا، بالأمازيغية حتى وإن كانت المادة الأصلية بالعربية.

وهكذا اشتغل الفقيه العثماني طيلة حياته بمهام الوعظ والتوجيه التربوي والديني والإفتاء بالأمازيغية السوسية، في المساجد والمنتديات، ومن خلال عدد من البرامج الإذاعية عبر الإذاعة الوطنية أو الإذاعة الجهوية بمدينة أكادير.

ومن ذلك برنامجه الإذاعي الأسبوعي "إسقسيتين ندين" الذي كان يجيب فيه عبر الإذاعة الوطنية بالرباط (قسم تاشلحيت)، عن أسئلة المستمعين في أمور الدين. وكان برنامجه ناجحا ذائع الصيت في المنطقة، كان عليه إقبال واسع، استمر أكثر من خمسة عشر عاما من أواخر الستينات إلى حين وفاته رحمة الله عليه سنة 1984. ونحتفظ بعشرات الحلقات

الإذاعية من تلك الأجوبة مكتوبة بخط يده بالأمازيغية بالحرف العربي. ولا شك أن دراستها مفيد في التعرف ليس فقط على الجوانب اللغوية والتعبيرية للأمازيغية المستعملة في تلك المرحلة، ولكنه مفيد كذلك في التعرف على سمات توجهه الفقهية وعلى اجتهاداته في مجال الفتوى والوعظ الديني.

وكان للأستاذ العثماني برامج إذاعية أخرى أقل شيوعاً مثل برنامج "لحديث ندين"، وهو عبارة عن أحاديث في الفقه والوعظ والتوجيه الديني، وبرنامج "إميك حتودرت ايركازن" أي قليل من حياة الرجال، والذي أسماه بعد حلقات: "أسماقل حتودرت ايركازن" أي نظرات من حياة الرجال.

ويتجاوز اهتمام الأستاذ العثماني للنهوض بالأمازيغية هذه الدروس والبرامج إلى الاهتمام بالإنتاجات باللغة الأمازيغية: إبداعاً وتأليفاً وترجمة.

وقد أشار الأستاذ إبراهيم أخياط رئيس "الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي" في مقال له إلى أن فكرة ترجمة معاني القرآن الكريم للأمازيغية راودت الجمعية منذ سنوات. فتوجهت في سنوات السبعينات من القرن الماضي إلى الفقيه محمد العثماني وعرضت عليه مشروع ترجمة القرآن. يقول إبراهيم أخياط: "وقد أبدى العثماني لهذه الفكرة استعداداً لتحويلها إلى واقع شريطة أن يكون إلى جانبه فقيه يساعده في إنجاز العمل. وبعد بضعة أشهر اقترح فقيهاً من المدرسة العتيقة بناحية تزنيث لكن الموت باغت العثماني فتوفي دون أن ينجز هذا المشروع".

## ثانيا - إحياء التراث السوسي العربي والأمازيغي

اهتم الفقيه محمد العثماني أيضا بتراث منطقة سوس، وخصوصا منه الأمازيغي، من لغة وثقافة وتاريخ، وكان يعتز بإبداعات الأمازيغ في الحضارة وبرموزهم الفكرية والفنية ويعتبر الإحياء التاريخي جزءا من رد الاعتبار لأمجاد المنطقة الحضارية والعلمية والسياسية.

ومن ذلك اهتمامه الشديد بالتراث الشعري والغنائي الأمازيغي، وإعجابه بكبار شعرائهم ونظامهم مثل الرايس الحاج بلعيد والرايس أبو بكر أنشاد، يجمع قصائدهم مكتوبة ومسموعة ويتأملها ويستشهد بها. واحتوت مكتبته الخاصة من ذلك الشيء الكثير.

وكان مما يقض مضجعه أن يهمل التراث المخطوط للمنطقة، وأن يحكم على كثير منه بالتآكل والاندثار، على الرغم من أنه يضم ثروة علمية ضخمة تشهد لمساهمة علماء وأدباء سوس في الإبداع عموما وفي المحافظة على الإسلام وعلومه في هذا الجزء من أرض المسلمين بوجه خاص. فصمم على العمل لبعث هذا التراث وإخراجه من دائرة النسيان، وجمعه باستنطاق الآثار وأفواه الرجال، والبحث عن المخطوطات في الخزانات المبعثرة هنا وهناك، لذلك جاب المنطقة، بحثا عن مآثر العلماء وكتاباتهم في كل مكان، حتى أصبح واحدا من المراجع في تاريخ سوس وماضيها العلمي والفكري ورجالها المعبرين.

وكان أشد ما يشكو من الذين يضمنون على الباحثين بما لديهم من وثائق ومخطوطات فلا يستفيدون منها ولا يفيدون، ثم يتركونها حتى تتلاشى. يقول مثلا، في حلقة من حلقات برنامج الإذاعي "معالم من تاريخ سوس":

"في القطر السوسي خزائن لا تقدر بثمن، غير أنها في كثير من الأحيان في يد من لا يحسن صيانتها واستغلالها، والنفع والانتفاع بها، فكثير منهم يظن ويعتقد أن الوكاء عليها



حتى عن الهوء من المبرات، وليس يعلم أن ذلك جناية عليها وعلى نفسه وعلى غيره تعديا وظلما، وهو يحسب أنه يحسن صنعا"

وقد تلخص إنتاجه في هذا المجال بالخصوص في ثلاثة أمور هي:

### 1 - بحثه "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي"

وهو بحث نال به دبلوم الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية سنة 1971، ليثبت أن التشريعات التي كان يسير عليها أبناء المنطقة على مدى قرون والتي تسمى الألواح أو الأعراف، كانت توضع بمساهمة علماء المنطقة، وأنها كانت مستمدة من الشرع الإسلامي. وقد استنفذت منه الدراسة جهد سنوات طوال من الأسفار والبحث ليبطل سلاحا حاول الاستعمار استعماله لسلب المنطقة عن دينها وعقيدتها.

يقول في مقدمة بحثه شارحا سبب اختياره لموضوع أعراف المنطقة: "اخترت "ألواح جزولة" موضوعا لبحثي ( ... ) لكونه يتعلق بإقليم كان من أعظم النواح في البوادي المغربية ومن أكثرها غناء في المحافظة على التراث الإسلامي وروحه، وفي المحافظة على اللغة العربية.

اخترته لكون بعض الناس يدعون أن هذا النوع من التشريع لا صلة له بالشريعة الإسلامية، وأن أصحاب هذا النوع من التشريع - وإن كانوا يتكلمون باللغة العربية ويدينون بالدين الإسلامي - قد انفصلوا عن الجامعة الإسلامية، وعلى هذا الفهم الخاطئ اعتمد واضعو الظهير البربري سنة 1930 تنفيذًا للسياسة البربرية، ولم يخطر ببالهم أن عملهم هذا قد دشنوا به بداية النهاية".

وبعد أن قام بتحليل مضمون الألواح في ضوء الشريعة الإسلامية، يعود فيؤكد مرة بعد أخرى على إسلاميتها مستخلصا عمق ارتباط التراث القضائي للمنطقة

بالدين. يقول : "إن الألواح يتجلى فيها روح الدين الإسلامي، وتهدف إلى ما يهدف إليه الإسلام من مقاصد تجعل الناس آمنين مطمئنين، متبعة في ذلك المصالح المرسله، والسياسة الشرعية وسد الذرائع وفتحها".

وفي خاتمة البحث نجده يتأسف على تلاشي مظاهر الالتزام بالدين في المنطقة : "ثم انقضت أنواع الاحترامات والتعظيمات للعلم، وأهله، فصارت شعائر الإسلام شيئًا ثانويًا ثم منسيا كسائر الأقاليم، كما اضمحل مفعول الألواح في مجال القضاء، وسعت فرنسا لتطبيق الأعراف والعادات الأجنبية عن تلك المنطقة الطاهرة، تعاكس الموجودة فيها وتصادم".

## 2 - البرنامج الإذاعي الأسبوعي (معالم من تاريخ سوس)

وهو برنامج كان يذيعه عبر الإذاعة الجهوية لأكادير. وكان وسيلة حاول عن طريقها التعريف بتراث سوس وحث الباحثين وطلبة العلم على الاعتناء به. وقد استمر حوالي أربع سنوات، أذاع خلالها قريبا من مائتي حلقة كانت تعرف بالخصوص بمجموع من المخطوطات العلمية النادرة. يقول بعد أن تحدث عن عيد الله لكاتم العلم ووعده لباذليه : "فإذا عرفنا ذلك كله، فإني أهيب بعلمائنا ومن يملك وسيلة من وسائل البحث العلمي والثقافي من وثائق وكتب ومخطوطات ومواد أخرى ألا يبخل بها على طلبتنا، وأبنائنا الذين يتخرجون من الجامعات المغربية أو الأجنبية فيبقون حيارى لا يدرون أين يذهبون وهم بعد لا يعرفون من أين تؤكل الكتف، وإني أرجو من كل من يملك وسيلة ما أن يلخصها ويبعث لنا بتلخيصها لنذيعها على أمواج الإذاعة على الصعيد الوطني، وسأكون في المقدمة فأقدم تلخيص كل ما يصلح للبحث العلمي في خزائني المتواضعة شيئًا فشيئًا وأقدم معلومات عن كل ما أعرف مما ليس موجودا لدي".

وكان الأستاذ العثماني يضع خزائنه المملأى بعدد من المراجع النادرة، وفي مقدمتها مخطوطات تجمع زبدة إنتاج علماء المنطقة وفقهائها ومؤرخيها، رهن إشارة من يحتاجها، كما فتح بابها لطلبة العلم يفيدهم بكل ما لديه من معلومات وخبرة ومعرفة، وربما بحث عنهم بنفسه، وكان أشد ما يكون سرورا وفرحا إذا وجد شابا مغربيا، متعطشا إلى البحث والتنقيب في تراث المنطقة يقول: "فالعبد الضعيف هذا الذي يتحدث إليكم يملك خزانة متواضعة يجعلها رهن إشارة كل باحث، وهي ليست ولا تعد إلا مثل نقرة عصفور من البحر المحيط، لذلك لا نألو جهدا في البحث عن مصادر أخرى بطريقة أو بأخرى"

"وإني أتوجه بحديثي ( ... ) إلى علمائنا الذين يملكون مفاتيح البحوث من كل ما يتعلق بتراثنا القديم في الإقليم وغير الإقليم، طالبا منهم ألا يبخلوا بمساعدة أبنائنا الطلبة بالإعلان عما لديهم من مراجع ومخطوطات ورسوم ومواد أخرى التي يمكن أن تكون نقطة انطلاق لبحث ما. وبذلك نكون قد أسدينا معروفا لا يقدر بثمن لأبنائنا وتراثنا وثقافتنا وأنفسنا في آن واحد، ولكي لا نحسب من الذين أوتوا العلم وكتموه".

### 3 - إصلاح المدارس العتيقة بسوس

فقد كان من رهانات الفقيه العثماني إصلاح المدارس العلمية العتيقة السوسية وتجديد مناهج التدريس بها لتتواءم المكان العلمي اللائق بها وبماضيها، وهو الذي كان من خريجيها ثم من أساتذتها لسنوات طويلة. وكان يراها راعية للعلوم الإسلامية في المنطقة، ناشرة للعلم الشرعي، لكنه كان ينظر إليها أيضا بوصفها جزءا من تراث المنطقة الحاضن للثقافة الأمازيغية وإنتاج الأمازيغ، سواء كتب باللغة الأمازيغية أو باللغة العربية.

وكانت تلك المدارس مؤسسات علمية مرتبطة بالمجتمع المحلي، أسهمت على مدى قرون في نشر العلوم الدينية بالمنطقة وفي توجيه السكان في مختلف شؤون حياتهم، وكان

أساتذتها يقومون بمهام التوجيه والإفتاء وتوثيق العقود والصلح بين الناس أو الفصل بينهم في قضايا حياتهم اليومية. كما كان لأساتذتها وطلبتها دور مهم في مقاومة الاحتلال الأجنبي مباشرة أو بتعبئة قبائل المنطقة وسكانها.

وعرف عن أساتذة تلك المدارس أنهم في الوقت الذي كانوا يمارسون فيه التدريس المتخصص المتوجه لطلبة العلم، كانوا يعتنون أيضا بالتعليم العام أو الشعبي الموجه لعامة الناس والذي يكون عادة بالأمازيغية بلهجتها السوسية.

وكانت "جمعية علماء سوس" قد جعلت من أهدافها منذ تأسيسها النهوض بالتعليم الأصيل وتطوير المدارس العتيقة، فقام العديد من أعضائها بجهود حثيثة لتحقيق ذلك، وكان في مقدمتهم الأستاذ محمد العثماني الذي اهتم كثيرا بتنظيم تلك المدارس وتطويرها وتلقيحها ببعض المناهج التعليمية المعاصرة. ولما كلف ابتداء من سنة 1971 من قبل وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل بمسؤولية "مراقبة المدارس العتيقة بسوس وحاحة وإحصائها"، قام بزيارة أغلب تلك المدارس متفقدا ومرشدا. وترك عددا مهما من التقارير التي تتضمن تشخيصا لوضعيتها واقتراحات مستفيضة لحل مشاكلها. وكانت تلك التقارير مرجعا أساسيا للعديد من الباحثين في الموضوع<sup>5</sup>.

---

<sup>5</sup> - وقد اعتمد عليها الأستاذ عمر المتوكل في كتابه: "المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العتيقة بسوس"

## خلاصات عامة

انطلاقا من مجمل مبادرات وإنتاجات الأستاذ العثماني يمكن الخروج ببعض

المحددات لرؤيته حول الأمازيغية.

1 - إنها تتضمن بذور إجابات عن عدد من الأسئلة التي ترتبط بالأمازيغية: تاريخا

وواقعا ومستقبلا. وهي الأسئلة التي شغلت بعد ذلك بحوالي عقدين من الزمان بال العديد

من المثقفين والجمعيات المهتمة بالأمازيغية، ثم شغلت قطاعا واسعا من الشعب المغربي مع

بداية هذا القرن وخصوصا بعد الخطاب الملكي المعروف بخطاب أجدير في شهر يوليوز

.2001

2 - كان الأستاذ العثماني يشتغل بنفس النضال اليومي لمقاومة طمس الهوية الثقافية

واللغوية والحضارية للمغرب، سواء تعلق الأمر بالهوية الإسلامية أو بالهوية الثقافية

الأمازيغية.

3 - كان الأستاذ العثماني يؤمن بالتناغم التام بين الثقافتين الأمازيغية والإسلامية،

وهو في ذلك يعكس رؤية أجيال من أبناء منطقة سوس تؤمن بالتعايش التاريخي والتكامل

العملي بين المكونات الثقافية الإسلامية والعربية والأمازيغية، وهما التعايش والتكامل الذين

استمرا لقرون دون أن يثيرا أي إشكال على مستوى الوحدة الوطنية. ولم يكن في ذهنهم أي

صراع بين ما هو أمازيغي وما هو عربي، فاستعملوا اللغتين في حياتهم وفي مدارسهم

ومجالسهم في سلاسة وسهولة. ومن هنا تعامل الأستاذ العثماني مع قضية الأمازيغية تعامللا

وطنيا واسع الأفق، مفتوحا على مختلف الاجتهادات، مبتعدا عن التعصب لهذا الاتجاه أو

ذاك.

كما يتضمن الخط الفكري والعلمي الذي تبناه الفقيه العثماني توجهها اعتداليا وسطيا واعيا. فإذا كان تأويل المنظومات الفكرية والدينية عادة ما تتراوح بين أورتودوكسية حرفية تنغلق في منطوق النصوص، وتأويلية لا تنضبط لأي قواعد أو محددات، فإن الأستاذ العثماني كان يؤثر وسطية تأخذ بالمقصدية واليسير وتحفظ للنصوص حرمتها في الوقت ذاته. ومن هنا اختار أكثر الاجتهادات الفقهية تيسيرا وانفتاحا ومراعاة لمصلحة الفرد والجماعة وأفتى بها ودافع عنها. ودرج على انتقاء اجتهادات من مذاهب إسلامية عدة، وهو المالكى الناشئ في بيئة مالكية قحة والذي اشتغل طول حياته بالمذهب المالكى تدريسا واجتهادا وإفتاء. وفي قضية الأعراف الأمازيغية في الحياة العامة أو في القضاء اختار أستاذنا أوسع الآراء وأكثرها انفتاحا. فاعتبرها اجتهادا ضمن المنظومة الإسلامية العامة، ولم يتبن رأي بعض فقهاء سوس الذين اعتبروها خروجاً عن الشرع وحكما بغير ما أنزل الله. واعتمد لذلك في بحثه على أوسع الاجتهادات الأصولية والفقهية التي تأخذ بالمصالح المرسله والسياسة الشرعية وغيرها من القواعد الأصولية.

4 - ويظهر بوضوح أن الأستاذ العثماني إذ يصر على الوعظ والإفتاء والتوجيه بالأمازيغية طيلة حياته، فإنه ينطلق من أن الانتماء اللغوي لا ينبغي أن يطرح أي إشكال بالنسبة لمجموعة كبيرة من المغاربة الذين يتحدثون باللغة الأمازيغية أكثر أو أحسن من اللغة العربية، كما ينبغي ألا يحول دون ارتباطهم بدينهم وتمسكهم بمقوماته العقدية والسلوكية.

